بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وبعد ... وهــذه رســـــالـــة:

أســـباب الغواية وزوغان القلوب

قال تعالى: "رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ" (آل عمران:٨)
قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُــوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ" (الصف:٥)

أولاً: إلف الوقوع فى المعاصي:

فمن أسباب الغواية إلف الوقوع فى المعاصي وارتكاب المحرمات، حتى تصير المعاصي كأنها عادة مألوفة.

والمؤمن لا يتآلف مع المعاصي أبداً:
قال تعالى: "والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم"،
وقال: "إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون".

فليس فاعل المعصية بمؤمن، ولا يكون العاصى حال معصيته متصفاً بالإيمان:
روى البخارى عن أبي هريرةَ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [لا يَزني الزاني حينَ يزني وهــوَ مــؤمنٌ, ولا يَشربُ الخمرَ حينَ يشربُ وهو مؤمنٌ, ولا يَسرِقُ حينَ يسرِقُ وهو مؤمنٌ, ولا يَنتَهِبُ نُهْبَةً يَرفعُ الناسُ إليـــه فيهـــا أبصارَهم حينَ ينتَهِبُها وهو مؤمنٌ].

والمؤمن لا يستمريء المعصية ولا يصر عليها:
روى أحمد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [مَثَلُ الْمُؤْمِنِ وَمَثَلُ الْإِيمَانِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِـــي آخِيَّتِهِ، يَجُولُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى آخِيَّتِهِ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْهُو ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْإِيمَانِ، فَـــأَطْعِمُوا طَعَـــامَكُمْ الْأَتْقِيَـــاءَ، وَأَوْلُـــوا مَعْرُوفَكُمْ الْمُؤْمِنِينَ].

ومن المعاصي:
نحو: ١- النظر إلى النساء فى الطريق وهو محرم قطعاً:

قال تعالى: "قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىَ لَهُمْ إِنّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ".

فأنت مطالب عند رؤية النساء لا سيما المتبرجات منهن أن تصرف عنهن بصرك لا أن تمعن النظر إليهن:

روى أحمد عن جرير بن عبد الله قال: [سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة ؟ فأمرني فقال: اصرف بصرك].

ونحو: ٢- اللعب بالنرد وهى الطاولة، واللعب بالطاولة حرام، لا يختلف فى حرمته اثنان،

روى مسلم: باب تحريم اللعب بالنردشير: بُرَيْدَةَ, عَنْ أَبِيهِ أَنّ النّبِيّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: [مَنْ لَعِبَ بِالنّرْدَشِيرِ, فَكَأَنّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ].

أحمد عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله].

فالتآلف مع مثل هذه المعاصى حتى تصير كالأمور العادية التى لا ينبغى أن تسترعى انتباه أحد، فضلاً عن إنكاره لهو من أسباب الغواية، وقد كان هذا خلق مَن لا خلاق لهم من قبلنا:

قال تعالى: "إِنّهُمْ أَلْفَوْاْ آبَآءَهُمْ ضَآلّينَ. فَهُمْ عَلَىَ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ".

بل والمجاهرة بالمعصية، من أسباب الغواية:

ففي صحيح البخارى عن أبي هريرةَ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [كلّ أمّتي مُعَافىً إلا المجاهِرين. وإنّ من المجاهرة أَن يعملَ الرجلُ بالليل عملاً ثم يُصبح وقد سَتَرهُ الله فيقول: يا فلان عملتُ البارحةَ كذا وكذا, وقد باتَ يَسترُه ربّه ويُصبحُ يكشِفُ سترَ الله عنه].

ثانياً: ومن أسباب الغواية: عدم ذكر الله:

وهذا يولد شيئين: قسوة القلب وضيق الصدر، وكلتاهما مصيبتان:

أما مصيبة قسوة القلب:

قال تعالى: "ثُمّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدّ قَسْوَةً وَإِنّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجّرُ مِنْهُ الأنْهَارُ وَإِنّ مِنْهَا لَمَا يَشّقّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَآءُ وَإِنّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ".

وفي سنن الترمذي عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله عز وجل فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله عز وجل قسوة القلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي].

وأما مصيبة ضيق الصدر:

قال تعالى: "فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيّقاً حَرَجاً كَأَنّمَا يَصّعّدُ فِي السّمَآءِ، كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرّجْسَ عَلَى الّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ".

وقال تعالى: "الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ" (الرعد:٢٨)

ثالثاً: التكاسل عن العبادات المفروضة والغفلة فيها:

قال تعالى: "وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاّ أَنّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصّلاَةَ إِلاّ وَهُمْ كُسَالَىَ وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاّ وَهُمْ كَارِهُونَ".

وقال: "إِنّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوَاْ إِلَى الصّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَىَ يُرَآءُونَ النّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاّ قَلِيلاً. مّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَىَ هَـَؤُلآءِ وَلاَ إِلَى هَـَؤُلآءِ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً".

والكافر والمنافق يسارع فى الإثم والمعصية، فهمته إلى ذلك:

قال تعالى: "وَتَرَىَ كَثِيراً مّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ".

والمؤمن – على العكس – يسارع فى طاعة الله تعالى ولا يتكاسل عنها:

١- قال تعالى: "فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىَ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنّهُمْ كَانُواْ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُواْ لَنَا خاشِعِينَ".

٢- في سنن الترمذي عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [اعْلَمُوا أَنّ الله لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَهٍ].

٣- وفي المستدرك على الصحيحين (ج: ٢ ص: ١٧٤) عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [حبب إلي من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة].

رابعاً: ومن أسباب الغواية: عدم الغضب إذا ما انتهكت حرمات الله:

روى مسلم: باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان, وأن الإيمان يزيد وينقص, وأن الأمر بالمعروف, والنهي عن المنكر واجبان: عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَوّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ, يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصّلاَةِ: مَرْوَانُ. فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ. فَقَالَ: الصّلاَةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ؟. فَقَالَ: قَدْ تُرِكَ مَا هُنَالِكَ. فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَمّا هَذَا فَقَدْ قضى مَا عَلَيْهِ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: [مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرا فَلْيُغَيّرْهُ بِيَدِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ. وَذَلِكَ أَضعف الإيمان].

روى أبو داود في سننه عن الْعُرْسِ بن عَمِيرَةَ الْكِنْدِيّ عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم قالَ: [إِذَا عُمِلَتِ الْخَطِيئَةُ فِي الأرْضِ كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فأنْكَرَهَا كان كَمَنْ غَابَ عَنْهَا, وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيَهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا].

خامساً: ومن أسباب الغواية: عدم الاكتراث بضياع الوقت فيما لا يعـود عليـه بثـوابٍ يكتسبه، أو طاعة يغتنمها، أو نيةٍ صالحةٍ تقلب مباحاً إلى مستحبٍ.

ففي الترمذي عن أبي برزة الأسلمي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُـسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ].

سادساً: ومن أسباب الغواية: أن يكون هم العبد الدنيا، لا هم له غيرها.

قال تعالى: "إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا" (القيامة:٢٧)

وفي الترمذي عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
[من كانت الآخرة همه: جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة،
ومن كانت الدنيـــا همه: جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له].

الخطبة الثانية

سابعاً: ومن أسباب الغواية: التفريط في النوافل:

ولهذا أسباب:
أولاً: فمن أسباب التفريط في النوافل: الغفلة عن مدى حاجة المرء المسلم إلـى تحـصيل مثـل هـذه الأجـور المضاعفة، والتي قد يَسُدُّ بها نقصاً كبيراً من الخلل الوارد على الفرائض، ناهيكم عن التزود في الطاعة، والله جل وعلا يقول: "وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ" البقرة: ١٩٧.
ت ن جه حم – عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: [إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْـدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنْ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ]
خ – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّـهُ، فَـإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْـرَهُ مَسَاءَتَهُ].

ثانياً: فمن أسباب التفريط في النوافل: توهم البعض من الناس أنهم بلغوا درجة عليا من كمال زائف في الجوانب الإيمانية، مما شكّل حاجزًا منيعاً في الحيلولة دون اغتنام الفرص وزيادة نسبة الإيمان لدى الواحد منهم.

خ م – عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: [لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لَا وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا].

ثالثاً: فمن أسباب التفريط في النوافل: العجز والكسل اللذان تعوّذ منهما النبي صلى الله عليه وسلم،

قال تعالى: "وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ" التوبة:٤٦.

خ م – عن أَنَس بْنَ مَالِكٍ قَالَ: [كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّمَا نَزَلَ – أي في السفر – ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ)]

رابعاً: فمن أسباب التفريط في النوافل: كثرة الاشتغال بالمباحات والإفراط فيها.

يحدث منه ذلك حتى ينغمس المرء في المباحات بالكلية، فيثقل ويركن إليها فيبرد،

ولذلك كان نهج السلف واضحاً في الإقلال من المباحات الملهية والتي يأنس لها القلب فتقعده عن قُربة مستحبة أو فرصة سانحة،

ولذلك قال الإمام أحمد رحمه الله: (إني لأدع ما لا بأس فيه خشيه الوقوع مما فيه بأس).

ت – عن عَلِيّ بْن أَبِي طَالِبٍ قَالَ: [إِنَّا لَجُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ إِذْ طَلَعَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، مَا عَلَيْهِ إِلَّا بُرْدَةٌ لَهُ مَرْقُوعَةٌ بِفَرْوٍ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَى، لِلَّذِي كَانَ فِيهِ مِنْ النِّعْمَةِ وَالَّذِي هُوَ الْيَوْمَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ بِكُمْ إِذَا غَدَا أَحَدُكُمْ فِي حُلَّةٍ وَرَاحَ فِي حُلَّةٍ، وَوُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ صَحْفَةٌ وَرُفِعَتْ أُخْرَى، وَسَتَرْتُمْ بُيُوتَكُمْ كَمَا تُسْتَرُ الْكَعْبَةُ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مِنَّا الْيَوْمَ، نَتَفَرَّغُ لِلْعِبَادَةِ، وَنُكْفَى الْمُؤْنَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَأَنْتُمْ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكُمْ يَوْمَئِذٍ]،

خامساً: فمن أسباب التفريط في النوافل: وجود سيئات تتضاعف وتتكاثر، حتى تُثْقِلَ سِجِلَّ العبد وميزانه، وهي فيما يظهر له أنها من السيئات اليسيرة التي لا يتصور العبد أنها من الخطورة بمكان،

ت حم – عن عَبْد اللَّهِ بْن مَسْعُودٍ قَالَ: [إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ فِي أَصْلِ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ وَقَعَ عَلَى أَنْفِهِ قَالَ بِهِ هَكَذَا فَطَارَ]،

سادساً: فمن أسباب التفريط في النوافل: صحبة البطالين

قال تعالى: "وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا"